

أولاء وردود

ردّ على النقد لمقالة «الدوافع والدلالات المتعلقة بموضة الثياب في الحياة اليومية عند اللبنانيين»^(*)

رانية سعد^(**)

الجامعة اليسوعية - لبنان.

الباحث)، وفُرِزَتْ بحسب برنامج (SPSS)، وتم بعدها تحليل المعطيات والنتائج التي ظهرت في الجداول. وكان التحليل معتمداً على النظريات المتبعة في تحليل نظام الموضة، كما وردت في كل الكتب والمراجع التي حصلنا عليها، والتي اعتمدناها في البحث. لم أورد في المقالة السابقة عرضاً عن كيفية سير التحليل والاستمارة، لاعتقادي بأن هذا الأمر هو تحصيل حاصل لكل بحث علمي، ولاعتقادي بأن الناقد يهمله أولاً النتائج التي توصل إليها البحث، إذ إنه من خلالها يحكم على جدية البحث، ومدى عملائية الوسائل المتبعة.

أما في ما يتعلق بالصور المختارة في البحث، فقد تمّ اختيارها بعد طول تفتيش ودراسة سيميائية معقّنة لمضمون هذه

لقد سرّني كثيراً أن يكون هناك نقد للمقالة التي كتبتها، والمتعلقة بالبحث المعنون «الدوافع والدلالات المتعلقة بموضة الثياب في الحياة اليومية عند اللبنانيين»، ولكنني وجدت كثيراً من النقاط التي طرحت تنمّ عن إمبيريقية لا تسمح للباحث بتجاوز التحليل الكمي. وفي ما يلي بعض «الأخطاء والمشاكل» التي أجملتها الناقدتان العزيزتان في ست نقاط:

أ - في ما يتعلق بالاستمارة، فقد جاءت الأسئلة مستوحاة من القسم النظري للبحث، وكل مجموعة من الأسئلة جاءت لتدعيم فرضية معتمدة في البحث أو لدحضها. تضمّنت الاستمارة ٢٧ سؤالاً، وتم جمع مضمون الإجابات عن الأسئلة المفتوحة (دون أي توقّع مسبق من قبل

(*) نشرت مقالة رانية سعد في: إضافات، العددان ٣ - ٤ (صيف - خريف ٢٠٠٨)، ص ١٣٠ - ١٤١. وقامت كل من رنا مكرزل وصونيا فارس بنقد مقالتهما ونشرت أيضاً في: إضافات، العدد ٥ (شتاء ٢٠٠٩)، ص ٢٠٥ - ٢٠٧.

إن الاستثمار لم توزّع على العيّنة العشوائية، بل تم اختيار مجموعات صغيرة (٣ إلى ٧ أشخاص)، وبعد النقاش كان كل فرد يعطي رأيه، والباحث يدوّن الإجابة. إن هذه الطريقة تسمح بمعرفة الميل لدى الجماعة، وهذا كان مقصوداً، لأن البحث في النهاية هو نفس - اجتماعي الهدف منه معرفة الدوافع الكامنة للجماعة ككل، والموقف العام السائد في المجتمع تجاه موضوع الموضة، الذي يدفع الأفراد إلى الامتثال.

ب - لم يكن الهدف من الدراسة الدفاع عن رأي شخصي محدود، ولم يكن لدينا أي توقع مسبق عمّا ستؤول إليه الدراسة، وعن النتائج التي سوف نحصل عليها. ولم يكن يهمّ أن تكون الفرضيات صحيحة، إنما كان الهدف الوحيد هو فهم الدوافع الكامنة وراء نظام الموضة في المجتمع. لذلك، إن اختيار الفئات، كما وردت في البحث، لم يأت نتيجة «أحكام مسبقة»، وإنما تم اختيارها لسبب بسيط وواضح (لا يحتاج إلى تأكيد من «مصادر» مختصة)، وهو أنها مطابقة لما يوجد فعلياً على أرض الواقع. كان الهدف من هذا التقسيم هو دراسة الدوافع الكامنة وراء موضة كل من هذه الفئات، ولم يكن الهدف إظهار فروقات أو إطلاق أحكام.

ج - اعتمدت هذه الدراسة، إلى جانب نظريات أخرى، على النظريات المتبعة في التسويق، وذلك باعتبار أن الثياب هي سلعة استهلاكية. ومن المعروف أن الدراسات التسويقية تسعى إلى الكشف عن الحاجات الكامنة والدوافع لدى المستهلك،

الصور، لتكون تدعياً للتحليل، وللتأكد من صحة الفرضيات، وإلا فاستعمالها يكون عقيماً ودون جدوى. إن الصور وضعت للزيادة في الموضوعية، ولكي أتخاشى قدر المستطاع الوقوع في التحليل الذاتي، ولا يمكن أن تكون هذه الصور مأخوذة من دراسات أخرى، لأن موضوع الموضة، كما حاولت أن أوضح في البحث، وفي المقالة، هو موضوع ثقافي، وبالتالي يستدعي دراسة خصوصية المجتمع، وهذا ما كنت أسعى إليه. إنني لم أسع إلى «نقد» المجتمع، وإنما إلى «فهم» المجتمع، وفهم نظام الموضة فيه. كما أن التحليل السيميائي للصور ورد في الدراسة بشكل مفصل، وقد ثبتت صحة هذا التحليل من خلال الاستثمار، حيث كان على المبحوث أن يشرح سبب اختياره للصورة، وقد تطابقت آراء المبحوثين مع مضمون التحليل.

تجدر الإشارة هنا إلى أن موضوع البحث كان دراسة الدوافع والدلالات وراء نظام الموضة. لذلك حتى ولو كان سبب الاختيار للصورة هو «الابتسامة» أو «لون الشعر» (مع أن المبحوثين لم يكتفوا بهذه الإجابات وحدها)، فنحن نستطيع من خلالها معرفة الدوافع الكامنة التي تدعم نظام الموضة. إن «الابتسامة» أو «لون الشعر» هما دالتان على أن الشكل الخارجي يلعب دوراً في عملية الاختيار، وبالتالي أفهم أن الثياب، وهي جزء من الشكل الخارجي، لها دور مهم هي أيضاً. فالتحليل للدوافع الكامنة يعتمد على تحليل سيميائي عميق للكلام المستخدم (Connotation)، ولا نكتفي فقط بالمعنى الظاهر (Denotation).

المجتمع من خلال عرض إمكانياته الاقتصادية، وبالتالي يميل إلى شراء «الماركات».

هـ - إن «المنظور الازدراي» هو في تبني فكرة أن المرأة وجدت فقط لـ «توفير سلالة للرجل». من ناحية أخرى، إن أسطورة الخلق وحواء لا تخص الديانة الإسلامية وحدها. إن جسد المرأة، بشكل عام، يتم ربطه بالفريضة الجنسية وبالإغواء، وبالتالي، وبحسب الثقافة السائدة، بـ «الشر». وقد ثبت ذلك في البحث من خلال إجابات الباحثين، إذ اعتبر الباحثون أن الدين هو المصدر الرئيسي لهذا التصنيف. ومن المعروف أن أسطورة الخلق هي المنبع في تكوين هذا المفهوم، ولذلك كان لا حول لي ولا قوة في هذا التفسير.

و - إن تأثر المبحوث بشخص الباحث هو أمر محتم، ولكن الطريقة التي اعتمدها في جمع المعلومات (مجموعات، وليس أفراداً) تجعل المبحوث يتأثر بالرأي السائد الذي كنا نسعى إلى الوصول إليه. كما أن الصور كانت منتقاة، كما سبق أن أشرنا، بشكل مدروس لا تخرج المبحوث في الاختيار، وتلغي بالتالي تأثير الباحث.

إن العينة في البحث كانت مؤلفة من ١٣٠ طالباً جامعياً من خلفيات ثقافية - اجتماعية متعددة، وقد روعي هذا الأمر من خلال التنوع في المناطق والجامعات. إن ما سعينا إلى تحليله هو الميول والدوافع والدلالات الثقافية - الاجتماعية المتعلقة بنظام الموضة، والتي لا يمكن إخفاؤها لدى

وهي - أي الدراسات التسويقية - لا تعتبر هرم الحاجات الإنسانية لأبراهام ماسلو «براهين مهمة»، خاصة إذا اقترن التحليل ببراهين سيكولوجية. كما أن علم النفس لا يعتبر، من ناحية أخرى، نظريات فرويد «براهين مهمة»: إن كل المراجع المذكورة في المقالة ذكرت دور عقدة الخشاء وتأثيرها في تكوين الفرق في الموضة بين الجنسين.

د - أن «يلاحق الرجل النساء اليافعات الجميلات»، فهو بحسب التحليل السيكولوجي، لا يفسر فقط برغبة لديه في إنشاء «سلالة». وأن «تميل النساء إلى رجال أكبر منها سناً، ولديهم مصادر اقتصادية وافرة ... قادرون على تأمين الأمان»، فهذا لأنها تسعى إلى الحفاظ على صورة «الأب». وهذا السلوك هو نتيجة عقدة أوديب التي تنتج لدى المرأة من تأثير عقدة الخشاء.

إن المثل الذي ورد في النقد والمستند إلى نظرية علم النفس الارتقائي لا ينفي ما ورد في البحث، بل على العكس هو يدعم ما حاولنا توضيحه، إذ إن المرأة «تبرز جمالها وقوامها لكي تجذب»، فهي تستطيع أن «تجذب» باستعمال ثقافتها وإبداعها. ولكن لأن المشكلة تكمن في «قوامها»، وتحديدًا في النقص الذي يكون لديها نتيجة عقدة الخشاء، فهي تحاول تعويض هذا النقص من خلال تجميل هذا «القوام». إنني لا ألوم المرأة هنا على ما هي عليه، لأن الثقافة المعتمدة في المجتمع هي التي تطبع لدى المرأة فكرة أنها لـ «العرض». وفي المقابل، يصبح الرجل متلصصاً (Voyeuriste)، وبالتالي لا يهتم بالموضة بقدر ما تهتم المرأة بها، بل يسعى إلى إظهار نفسه في

من «١٣٠ طالباً ذات أكثرية نسائية» قد استدعت هذا النوع من النقد، فإني أعتقد أن هدف الدراسة، وهو التأثير في القارئ ودفعه إلى التساؤل والتحليل والتأويل، قد «أنجز»، وذلك بفضل القارئتين الناقدتين، مشكورتين □

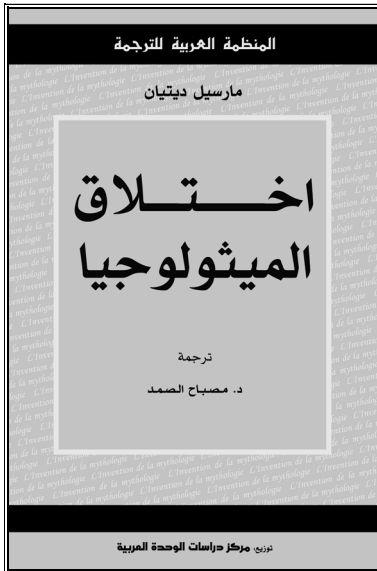
الأفراد، زاد أو قلّ عددهم. وبالتالي، إن هذه العيّنة يمكن أن تعطي صورة عن المجتمع اللبناني.

أخيراً وليس آخراً، إذا كانت عيّنة

صدر حديثاً عن المنظمة العربية للترجمة اختلاق الميثولوجيا

تأليف: مارسيل ديتيان

ترجمة: د. مصباح الصمد



من اختلق الميثولوجيا؟ وما هي حدود هذا الميدان المسكون بحكايات لا يطالها النسيان، وتبقى مقترنةً بلذة روايتها وبالحرص على تفسيرها وتأويلها؟ وإذا كان صحيحاً أن كل قارئ في العالم يعتبر الأسطورة أسطورةً بالفعل، فما الذي يجعل علم الأساطير لا يزال عاجزاً عن التمييز، بدقة بين قصةٍ وأسطورةٍ؟

وعلى غرار سمكة ذائبة في مياه الميثولوجيا، فإن الأسطورة شكلاً لا يمكن العثور عليه: فلا هي نوعٌ أدبي، ولا هي سرد ذو خصوصية. لكن الحديث عن الميثولوجيا كان ولا يزال، وبصورة مباشرة أو موارد، يعني الحديث بالإغريقية أو انطلاقاً من بلاد الإغريق.

من هنا كانت ضرورة البحث في نسب الميثولوجيا، لكي نعيد التفكير فيها، كمادة معرفة، ومادة ثقافة أيضاً....

٣٥١ صفحة

الثمن: ١٢ دولاراً
أو ما يعادلها



الملتقى التاسع عشر لأجيال علماء الاجتماع العرب

الحمامات/ تونس: ٢٠ - ٢٨ يوليو/ جويليه ٢٠٠٩

تعلن الجمعية العربية لعلم الاجتماع أن الملتقى التاسع عشر لأجيال علماء الاجتماع العرب سينعقد، في مدينة الحمامات/ تونس من ٢٠ إلى ٢٨ يوليو/ جويليه ٢٠٠٩.

يتسع الملتقى لمشاركة عشرين باحثاً شاباً من أقطار عربية مختلفة ممن لهم مشاريع بحث جارية في مستوى الدراسات العليا (ماجستير - دبلوم دراسات معمقة - دكتوراه...) يرغبون في عرضها للمناقشة الجماعية، بهدف الاستفادة في تطويرها، وذلك بمشاركة أساتذة وباحثين عرب ممن لهم خبرة في تأطير البحوث العلمية.

شروط المشاركة

- أن لا يتجاوز عمر المترشح للمشاركة ٣٠ سنة.
- أن يصل إلى الجمعية، قبل ٣١ ماي ٢٠٠٩، تقرير عن مشروع البحث (في حوالى ١٥ صفحة مطبوعة) يتضمن عرضاً واضحاً لأهم مكوناته: الموضوع - التخطيط - الإشكالية - المقاربة المتبعة وما يتصل بها من جهاز مفاهيمي، الخ... ويمكن الإشارة إلى صعوبات البحث أو وضع أسئلة يحتاج الباحث إلى الإجابة عنها، إن رأى ذلك.
- يتحمل المترشح أو مؤسسته نفقات سفره، ويتحمل الملتقى نفقات إقامته في الحمامات، خلال فترة الملتقى.
- يتم إعلام المترشح بقبول ترشحه أو بعدم قبوله قبل يوم ١٠ يونيو/ جوان ٢٠٠٩. (ويرجى منه مد الجمعية بالعنوان البريدي الدقيق وبأرقام الهاتف والفاكس والبريد الإلكتروني لتيسير الاتصال به).
- في انتظار إرسال التقرير، على الراغبين في المشاركة مراسلة الجمعية منذ الآن، مع الإشارة إلى العمر ومستوى الدراسة وموضوع البحث.

المراسلة: د. الطاهر لبيب، الرئيس الشرفي للجمعية العربية لعلم الاجتماع

مدير عام المنظمة العربية للترجمة

شارع البصرة - بناية «بيت النهضة» - الحمراء - بيروت - لبنان

هاتف: 961-1-753031 - فاكس: 961-1-753032

البريد الإلكتروني: secretary@aot.org.lb

< info@aot.org.lb >



- | | | |
|---|--|-----|
| ١ - أسس السيميائية | تأليف: داننيال تشاندير
ترجمة: طلال وهب | □ □ |
| ٢ - خمسون مفكراً
أساسياً معاصراً | تأليف: جون ليشته
ترجمة: فاتن البستاني | □ □ |
| ٣ - في الـ... ثورة | تأليف: حنّانة أرندت
ترجمة: عطا عبد الوهاب | □ □ |
| ٤ - صور المعرفة
مقدمة لفلسفة العلم المعاصرة | تأليف: باتريك هيلي
ترجمة: نور الدين شيخ عبيد | □ □ |
| ٥ - اختلاق الميثولوجيا | تأليف: مارسيل دي تيان
ترجمة: مصباح الصمد | □ □ |
| ٦ - حرب اللغات
والسياسات اللغوية | تأليف: لويس جان كالفلي
ترجمة: حسن حمزة | □ □ |
| ٧ - الأصول الاجتماعية
للدكتاتورية والديمقراطية | تأليف: بارينجتون مور
ترجمة: أحمد محمود | □ □ |
| ٨ - حديث الطريقة | تأليف: رينيه دي كارت
ترجمة: عمر الشارني | □ □ |
| ٩ - أزمة العلوم الأوروبية
والفنونولوجيا الترنسندنتالية | تأليف: إيموند هوسرل
ترجمة: إسماعيل المصطفى | □ □ |
| ١٠ - المرئي واللامرئي | تأليف: موريس مرلو-بونتي
ترجمة: عبد العزيز العيادي | □ □ |
| ١١ - تطوّر صورة الشرق
في الأدب الإنجليزى | تأليف: ناجي عويجان
ترجمة: تالا صباغ | □ □ |
| ١٢ - الكذبة الرومنسية
والحقيقة الروائية | تأليف: رينيه جيرار
ترجمة: رضوان ظاظا | □ □ |